التجربة العصرانية في السودان وتجديدهم المزعوم

وفي السُّـــودانِ دَرْسٌ أيُّ دَرْسٍ
بِهذا العصْرِ لِلمُسْتَعْصِرِينا

أقام العصرانيون دولة في السودان ،وكان الترابي على رأس المخطِّطين لذلك،وقد تبنَّوا دستوراً علمانياً ـ وعندي نسخة منه ـ وطبّقوا الممارسات العلمانية ، ومكّنوا للنصارى والنساء في المسؤوليات والولايات ، وازداد انهيار الاقتصاد في عهدهم ، وتكاثرت مشاكل البلد ، وشرَّعوا لانفصال الجنوب في الدستور نفسه... فذكروا في الدستور أنه يكون تقريرمصير الجنوب للانفصال عن السودان أوللبقاء في الاتحاد معه باستفتاءٍ يجري في الجنوب بعد ستّ سنوات... ومعْلومٌ أنه مع خضوع الجنوب للمؤامرات فإن نتيجة الاستفتاء معلومة،وما جرى في تيمور الشرقية في إندونيسيا فالمتوقّع أنه

سوف يتكرّر في جنوب السودان . ومعلوم شرعاً أنّ الثوابت ليست قابلة لاجتهاد العلماء، فضلاً عن تصويت الغوغاء، فضلاً عن استفتاء النصارى! ولوحصل الانفصال بعد حرب كانتْ فيها الغلَبة للأعداء لكان في ذلك العذر ... وفي عهود الحكومات السابقة لا نقلاب الترابي ما كان أحدٌ يَتصوَّر مثل هذه التنازلات والانحرافات ... فقد استمرّت الحروب عشرين سنة من أجل منع انفصال الجنوب !... وقد حدَث الصراع فيما بعد بين الترابي وبين الآخَرين من رجال الانقلاب ، وكان لذلك الأثر الكبير في ازدياد المخاطر على البلد ، وازدياد التدخلات الأجنبية، واختلاق مشكلة كبيرة هي مشكلة دارفور التي تمّ تدويلها ... ويعتبر الترابي ومن معه سبباً مباشراً في كثير من ذلك !... وهكذا أظهر الله حقيقة العصرانيين ومنهجيتهم ...والناس جميعاً يرون هذه الدولة وكيف انتهتْ بها الحال.. ومع ذلك هنالك محاولات من

الصالحين في الدولة وخارجها للتدارك ، وإصلاح الأوضاع، والتصدي للمؤامرات قدْر الإمكان، ونسأل الله لهم الإعانة والسداد .

وما التّجْديدُ فيما يَنْشُدونا
سِوَى تَرْويجِ ما يَسْتَوردونا

هذا هوالتجديد عند الترابي وأمثاله كما مرّ في المقدمة ، وحقيقته أنهم يروّجون للأفكار والمبادئ الغربية المستوردة بغطاء إسلامي خادع.

ومَن يَكُ بالهُدَى فيهم غَريباً
فَطُوبَى ها هُنا لِلمُغْرِبينا

المتمسك بالهُدى الحريص على تطبيق الكتاب والسُّنَّة على منهج السلف الصالح هو غريب بين هؤلاء ... فطوبى له ! ... يقول عليه الصلاة والسلام كما في الحديث الذي عند مسلم: (**فطوبى للغرباء**).

وتَجديدُ الهدَى عَوْدٌ لِبَدْءٍ
لِمنهاجِ الصِّحابِ السابِقِينا

ليس التجديد المجيءَ بالشيء الجديد ، وأن نستورد من اليهود والنصارى أفكارهم من قريب أوبعيد ، فهذا ليس بالتجديد وإنما هوالتوريد .... التجديد أنْ نُجَدِّد الأصل ، أنْ نُجَدِّد الإسلام نفسه بإزالة ما عَلِقَ به من البدع ، وبالتزام ما تركه الناس من أحكامه ، وبتَنْقِيَته من الشوائب المستوردة، بمعنى أن نعيده كما كان جديداً أصيلا ... أن نعود به إلى البداية ... أنْ نعود إلى جوهر الإسلام .. إلى المنهاج الذي كان عليه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ والصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ فنقوم بتجديد الدين بهذا المعيار في النفوس وفي الواقع. قال ﷺ : (**إن الله يبعثُ لهذه الأمة على رأس كل مائة سَنَة من يجدد لها دينها**) . رواه أبوداود والحاكم وذكر الألباني ـ رحمه الله ـ أنه صحيح .

به تُرْجَى النَّجَاةُ ولا انْقِطَاعٌ

لِطَائفَة النَّجَاة الظاهرينا

بهذا التجديد ترجى النجاة، ولا انقطاع لطائفة

النجاة ... الطائفة التي ذكرها الرسول ـ ﷺ ـ كما في الحديث الذي عند الشيخين ـ رحمهما الله ـ وغيرهما وبيّن أنها ظاهرةٌ لا تنقطع ، وأنها تبقى إلى قيام الساعة، حفظاً لدين الله تعالى، وحجةً على الناس، لا يضرها من خالفها ولا من خَذَلَها .

لقطات من عناية العلماء الثلاثة ـ رحمهم الله ـ :

أَئِمَّتُنا ثَلاثَتُهم مِثَالٌ
ولا يَرضَونَ بِدْعًا أوْ مجُونا

الأئمة الثلاثة ـ الذين ذكرناهم ـ كلٌّ منهم مثالٌ في أنواع من الخير كما نحسبهم ـ ولا نزكيهم على الله ـ وهم لا يرضون بالبدع ولا بالانحلال ولا بالأفكار المارقة.

ورَبَّوا لِلخلافةِ جِيلَ صِدْقٍ
بِأَقْطَارِ البَسِيطةِ جاهزينا

ولهم تلاميذ صادقون في أقطار البسيطة (الأرض)، وهم جاهزون ـ إن شاء الله ـ لإعادة الخلافة الراشدة. والمقصود بذلك الخلافة التي تعود في آخر الزمان وتعمُّ

المسلمين في الأرض، وتكون راشدة على منهاج النبوّة ، وقبْل ذلك يتألّم العلماء والدعاة وطلابهم على فُرقة المسلمين وكثرة دُوَلهم،ولكن منهج أهل السُّنَّة والجماعة هوإعْطاء كلِّ حاكمِ دولة حقوق وليِّ الأمر في الطاعة والمناصحة وعدم الخروج عليه ما دام مسلماً ، والسعْي بقدْر الإمكان لجمع ما يمكن جمعه وتوحيده من دُول المسلمين بالحكمة في ضوء ضوابط الشرع .

وبالمنهاجِ صارَ لهم إطارٌ
إذا اسْتَرْخَى إطارُ المُعْصرينا

وهم جميعا ماضون على منهاج أصيل هومنهاج أهل السنة والجماعة الذي هوإطارٌ لهم.

أما إطار المُعْصرين –وهم العصرانيون– فقد استرخى وصار مُهْتَرِئًا مُسْتَبَاحاً حين داخَلَتْهُ الأفكار المنحرفة من جهات المغضوب عليهم والضالين والمبتدعة ، وبقي إطار أهل السُّنَّة والجماعة إطاراً أصيلاً متيناً ثابتاً.

وهم يَسعَونَ في فُسْطَاطِ دينٍ
إذا اسْتَسْعَى النِّفَاقُ الآخَرِينا

هؤلاء الأتباع والتلاميذ يسعون في إقامة معسكر الدين ـ فسطاط الدين ـ ، أما الآخرون فيسعون في فسطاط النفاق شعروا أم لم يشعروا.

ومَنهجُهم شُمُولٌ واعْتِدَالٌ
ويَحْمُونَ العقيدةَ جَاهِدينا

ومنهجهم أنهم يأخذون الإسلام بشموليته، وباعتدال دون غلُوّ ، ويحمون العقيدة جاهدين؛ لأن العقيدة هي الأساس.

وسَبْقٌ لِلجماعةِ في صلاةٍ
وفي الأَسحارِ كانوا ساجِدينا

ويسابقون من أجل صلاة الجماعة في المسجد، ويتهجّدون في الأسحار،تقرُّباً إلى الله،وشَرَفُ المؤمن قيام الليل كما في الحديث، وقد أمَرَ الله نبيّه ﷺ أوّلَ ما أمَرَهُ بقيام الليل فقال له : ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [المزمل:٢]

لماذا هذا الأمر؟!... قال: ﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ [المزمل: ٥]. إن الدعوة إلى الله لا يحملها إلا مَن عنده الزاد... ومن أعظم الزاد الاهتمام بصلاة الجماعة والاهتمام بقيام الليل، وما أبعد العصرانيين عن الاهتمام بصلاة الجماعة وقيام الليل! ومعلوم من النصوص أنه لايتخلّف عن صلاة الجماعة عمومًا، وعن جماعة الفجر والعشاء بالذات إلاّ منافق معلوم النفاق.

وكالتّصْويرِ ما فيه اشْتِبَاهٌ
تَحَاشَوْا فِعْلَهُ مُتَوَرِّعِينا

يتجنبون الشبهات فضلاً عن المحرمات، حتى الصورة الفوتوغرافية تجنّبوها من باب اتقاء الشبهة... ابن باز ـ رحمه الله ـ كان يتجنب الصور، والندوي يتجنب الصور، والألباني ـ رحمه الله ـ يتجنب الصور؛ إلاّ إذا تم التقاط صورةٍ لأحدهم بغير اختيار منه، ومع هذا يجوّزونها عند الحاجة، ومن باب اتقاء الشبهة يبتعدون، وهكذا في سائر الشبهات... هذا هو شأن

الأئمة والدعاة إلى الله امتثالاً لقوله ﷺ كما في الحديث المتفق عليه: **(فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)** .. والمتهاون يتساهل في هذه، وفي هذه وفي هذه؛ وأين النهاية؟ ... النهاية والعياذ بالله الوقوع في الحرام.

وليسُوا عِصْمةً مِن كُلِّ عَيْبٍ
وخَيرُ الَهدْيِ هَدْيُ المُرسَلينا

نحن لا نقول بأنهم معصومون فهم بشر، والعصمة لأصحاب خير الهدْي وحدهم وهم المرسلون.

وما ارْتاضُوا مع السُّفَرَاءِ حيناً
ولا ارْتَاضُوا مع الحُكَّامِ حينا

لم تروِّضْهم السياسةُ ... فهم لا يخطُبون وُدَّ الدول الكبرى ولا سفاراتها ولا وُدَّ المسئولين والحكام.

ولن يَعْيَا المُخَلِّطُ لَوأَرادوا
بأَنْ يَحْيَا بتَخْلِيْطٍ مَكينا

لوشاء أحدهم أن يكون مخلِّطاً عصرانياً.. فلن

يعجز بأن يتكلف فلسفة يُبَرِّر بها تخليطه ، ويحيا بتخليطه مكيناً عند الحكام أوعند السفارات ! .

ومثل الغَيرِ يَزعُمُ كلَّ خَيْرٍ
ويَجْمَعُ مِثْلَهُ رغَداً وطِينا

ثم يمكنه أن يقول: الدنيا بخير، مثل ما يزعم ويُردِّدُ غيره من علماء ودعاة السلاطين. ويجمع لنفسه المناصب والأموال والممتلكات... هذه الأموال والممتلكات التي ما هي في حقيقتها وفي نهايتها إلا رفاهية الطين والتراب؛ فكل الذي فوق التراب تراب.

ولن تَرضَى اليهودُ ولا النصارى
ولا الأَذْيالُ إلا المُفْسِدينا

لا يمكن أن يرتاح اليهود والنصارى وسفاراتهم ومنظماتهم وأذيالهم من المتنفِّذين إلا للمفسدين في بلاد المسلمين، أما الصالحون فلا يمكن أن يقبل بهم اليهود والنصارى أبداً. قال تعالى: ﴿ ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة: ١٢٠].